قضاة المغاربة المالكية في بلاد الحرمين الشريفين خلال القرنين 8و9هـ/ 14-15م

Maghrebins maliki judges in the country of the Two Holy Mosques during the 8th and 9th centuries AH / 14-15 AD

د. عمار عطية*

جامعة عمار ثليجي بالأغواط (الجزائر)، attia.omar@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2023/03/02 تاريخ القبول: 2023/05/01 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز قيمة العلاقات العلمية القائمة بين علماء المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز من خلال إسهاماتهم العلمية الكبيرة، وقد تم التركيز على دراسة القضاء عند المغاربة المالكية في بلاد الحرمين خلال القرنين 08-09 هـ / 14-15م، ويعتبر القضاء من أهم الوظائف الإدارية الدينية في الحجاز التي كان للعلماء المغاربة نصيب كبير منها، وقد كان انتقال هؤلاء العلماء من بلاد المغرب باتجاه الحجاز لغرض الحج والإفادة والاستفادة، والكثير منهم أصبح من المجاورين للحرمين الشريفين، وهناك برزت بيوتات علمية مغربية اشتهرت بالعلم والصلاح كأسرة ابن فرحون والقسطلاني، والفاسي والدكالي وغيرها، وقد تناولت الدراسة أوضع بلاد الحجاز خلال هذه الفترة، كما تناولت شروط تعيين القاضي ومهامه، ثم عرج البحث إلى إبراز أهم القضاة المغاربة المالكية تقلّدوا منصب القضاء المالكي بمكّة والمدينة المنورة في هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية: المماليك؛ المذهب المالكي؛ القضاء؛ المغاربة؛ الحجاز؛ مكة؛ المدينة المنورة.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research aims to highlight the value of the existing scientific relations between the scholars of the Islamic Maghreb and the countries of the Hijaz through their great scientific contributions. Religious affairs in the Hijaz, of which Maghrebin scholars had a large share, and the movement of these scholars from the countries of Morocco towards the Hijaz was for the purpose of pilgrimage, benefit , and many of them became neighbors of the Two Holy Mosques, and there emerged Maghrebin scientific houses that were famous for science and righteousness, such as the family of Ibn Farhoun and Al-Qastalani, Al-Fasi, Al-Dakali and others. The study dealt with the conditions of the country of Hijaz during this period, as well as the conditions for appointing a judge and his duties, then the research stopped to highlight the most important Maghrebin Malikite judges in this period, and the study showed that these Maghrebins excelled in many sciences such as jurisprudence, interpretation, readings and hadith, and for their scientific standing, many of them were able to He held important positions in Makkah and Madinah, especially religious positions, such as eliminating the Maliki school of thought.

Keywords: Mamluks; Maliki school of thought; judiciary; Maghrebins; Hijaz; Mecca; Medina.

مقدمة:

كان للحرمين الشريفين ولازال مكانة عظيمة لدى المسلمين على مر العصور فهما خير البلاد وأفضلها، ومهوى القلوب في كل الأوقات، ومقصد المسلمين من انحاء المعمورة، وقد استقر بهما كثير من الناس وازداد عدد المجاورين، ومن بين هؤلاء كثير من العلماء المغاربة الذين فضلوا البقاء ومجاورة الحرمين الشريفين لأغراض متعددة كالتفرغ للعبادة والانقطاع عن الدنيا، والرغبة في الاستزادة من مختلف العلوم الفقهية واللغوية وغيرها، ومنهم من أطال به المقام فأصبح من أهلها وسكانها فكانوا نواة لتكوين أسر علمية كان لها التأثير البالغ في الحياة العلمية. ومن هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية بإشكالية رئيسية تحاول فيها بيان الحضور العلمي للعلماء المغاربة

المالكية الذين تقلدوا وظيفة القضاء في الحرمين الشريفين، في فترة القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر الخامس عشر الميلاديين وهي الفترة التي كان فيها الحرمين تحت الحكم المملوكي حيث شهد النظام القضائي تطورا في عهد هذه الدولة، وتندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية ماهي اوضاع الحجاز خلال هذه الفترة؟ ما أهمية القضاء وما شروط تعيين القاضي عند سلاطين المماليك وما هي مهامه؟ وما أبرز القضاة المغاربة المالكية بالحرمين الشريفين خلال هذه الفترة؟

1-أوضاع بلاد الحجاز خلال القرنين 8و9هـ:

كان أشراف مكة تحت التبعية السياسية لدولة المماليك فكان سببا في ازدياد نفوذ المماليك على حساب نفوذ بنى رسول في اليمن[1]، وقد عمل المماليك على بث الأمن والرخاء في بلاد الحجاز وبسطوا نفوذهم وسلموا السلطة في يد من يثقون فيهم من الأشراف[2]، كما ساعد أيضا على هذا الاستقرار ظهور شخصيات قوية من الأشراف كان لهم دور كبير في الاستقرار والقضاء على الاضطرابات والنزاعات السياسة مثل بدر الدين حسن بن عجلان 775- 829هـ/ 1373-1435م، وابنه بركات 809-859هـ/1406-1454م.

وكان لهذا للاستقرار السياسي في الحجاز خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين خاصة في مكة والمدينة المنورة دور في مكوث الكثير من العلماء المغاربة المالكية بعد انتهاء أعمال الحج، حيث فضل عدد منهم مجاورة الحرمين الشريفين فكان لهم نشاط علمي كبير ومساهمة في الحياة العلمية للحرمين الشريفين كما كانت لهم مشاركة فعالة في مختلف الوظائف الإدارية والدينية أهمها القضاء لما له من أهمية ومكانة في المجتمع المكي والمدني، نظرا لما يختص به من قضاء الناس في أمور دينهم ودنياهم، خاصة بعد استحداث قضاء المالكية فكان للعلماء المغاربة المالكية الحظوة في تصدّر منصب قضاء المذهب المالكي بجانب المذاهب الأخرى.

وقد تأثر النظام القضائي في مكة بالنظام القضائي في الدولة المملوكية، بل كان تابعا له، لكون الحجاز تابعا للدولة المملوكية وتحت نفوذها. وكانت الدولة المملوكية تولى الحجاز اهتماما خاصا لوجود الحرمين الشريفين فيه، ولوفود آلاف الحجاج سنويا لأداء مناسك الحج، فإشرافها عل الأماكن المقدسة في الحجاز يعطيها مزيدا من الهيبة والاحترام خصوصا لسلاطينها أمام المسلمين[3].

وكان القضاء بمكة يتبع المذهب الشافعي وقد انتشر بالحجاز منذ نصرته الدولة الأيوبية، ثم الدولة المملوكية التي صدرت الشافعية، ومما زاد من انتشاره أكثر عندما صار الأشراف من أتباعه فأصبح مساويا للمذهب المالكي، والناس على دين ملوكهم.

ويزداد نشاط الحركة العلمية في أيام الحج لكثرة الوافدين عليها من الحجيج والعلماء والمجاورين. وقد برز عدد من الأسر العلمية المغاربية المجاورة للحرمين الشريفين التي اشتهرت بكثرة علمائها، منها أسرة بن فرحون والفاسي والقسطلاني والدكالي وغيرها وقد تقلدت العديد من الوظائف الدينية في مكة والمدينة المنورة، ومن هذه الوظائف القضاء. وقد كان هناك تنافس كبير بين العلماء على هذا المنصب، لذلك نجد أن لقاضي مكة أو المدينة مكانة محترمة في نفوس الحكام والعامة فكان يعد في المرتبة الثانية بعد شريف مكة أو المدينة المنورة، ومن أجل ذلك كان لزاما أن يصدر قرار التعيين أو العزل من السلطان نفسه، وهذه جعلت ارتباطه الاداري مباشر بالسلطان لا بالشريف .

2-أهمية القضاء:

يعدّ القضاء منصب رفيع وهو من الوظائف التابعة للخلافة يقول ابن خلدون:" وأما القضاء فهو من الوظائف الدّاخلة تحت الخلافة لأنّه منصب الفصل بين النّاس في الخصومات حسما للتّداعي وقطعا للتّنازع إلّا أنّه بالأحكام الشّرعية المتلقّاة من الكتاب والسنّة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء إلى من سواهم..."[4]. وقد تطور منصب القضاء لما له من مكانة عظيمة لدى المسلمين في كل العصور الاسلامية من صدر الاسلام إلى اليوم، لذا نجد اهتمام الدول الإسلامية به كان كبيرا، حيث وفرت الشروط التي حددها الفقهاء كي يتمكن القضاة من أداء مهامهم، كتخصيص الرواتب العالية وتوفير الأمن بمجلس القضاء بوجود رجال الشرطة هناك، كما وفرت لهم عددا من الموظفين كالحجاب والكتاب وغيرهم[5]. وقد تم استحداث منصب القاضي المالكي في الحرمين الشريفين سنة 807هـ[6].

3-شروط تعيين القاضي:

كان للسلاطين المماليك شروطا في اختيار القضاة وفق شروط ومعايير محددة منها أن يكون المترشح لهذا المنصب مسلما ذكرا، بالغا، عاقلا، حرا، عادلا، سليم الحواس، عالما بالأحكام الشرعية، خاصة في علوم الفقه[7] وكان الكثير من العلماء يمتنع لتولي هذا المنصب خوفا وتورعا من هذه المسؤولية من جهة ومن تدخل الحكام من جهة أخرى، وكثير منهم لحقه الأذى جراء امتناعه[8]

4-مهام قاضي المالكية:

كانت مهام قاض المذهب المالكية في الحرمين الشريفين ليست واضحة وغير محددة، فقد كانت مهامه كثيرة ومتشعبة تدل على مكانته وقوة شخصيته، من بينها فصل النزاعات وقطع التشاجر بين المتخاصمين، والنظر في جميع القضايا الجنائية، كما يدخل في اختصاصه النظر في عقود الزواج والبيع والإجارة والتوصية، والإشراف أموال الايتام[9]، على أنّ مهمة قاضي المالكي الأساسية هي الفصل في الخصومات التي تحدث بين أتباع المذهب المالكي، حتى لا يجبر على الالتزام بحكم يحكم به القاضي الشافعي بينما المذهب المالكي له اجتهاد آخر يخالف اجتهاد الشافعية. ومن مهامه أيضا حضور حصر أموال أحد المعاقبين من قبل السلطان، وبالإضافة إلى ذلك كان ضمن اعضاء لجنة اختيار شريف مكة في حالة اختلاف أسرة الأشراف حول ذلك. كما كان عضوا في لجنة محاكمة أحد كبار رجال الدولة." كذلك كان من اعضاء في لجنة تحديد أسعار صرف العملات النقدية وكان أيضا يستفتى في نوع العقاب الذي يجب إيقاعه على المجرمين[10].

5-العلماء المغاربة القضاة في الحرمين الشريفين:

لقد كان القضاء المالكي من الوظائف الدينية التي لها أهميتها البالغة فلا يعين فيها إلا علماء أكفاء لهم منزلتهم في المجتمع الحجازي كما حظي الحرمين الشريفين باهتمام بالغ من قبل سلاطين المماليك بتعين قضاة مالكية فكان للعلماء المغاربة المالكية نصيبهم في هذه الوظيفة الهامة وفيما يلي سنتطرق إلى عدد من هؤلاء القضاة:

5-1- القضاة المالكية المغاربة بالمدينة المنورة:

-قضاة أسرة بن فرحون:

بالنسبة لقضاة المغاربة المالكية في المدينة المنورة فاغلب من تولاه أفراد من أسرة ابن فرحون[11]، وأول من تسلمه البدر عبد الله بن فرحون، الذي ناب في قضاء المدينة عن التفي عبدالرحمن بن عبد المؤمن الهوريئي، لما استقل بقضاء المالكية سنة 765هـ/ 1363 م حتى وفاته سنة 769هـ/ 1367 م . ثم خلفه في منصبه في قضاء المالكية ابنه المحب أبو عبد الله محمد بن فرحون، واستمر في منصبه فترة طويلة، عزل في اثنائها عدة مرات، وكانت وفاته وهو في طريقه إلى القاهرة ستة 791 هـ/ 1388م، واستقر بعده في قضاء المالكية أخوه، الشهاب أبو العباس أحمد ين عبد الله بن فرحون، وكان بمصر، ففدم إلى المدينة وتولى القضاء، غير اله لم يستمر في متصبه سوى فترة فصيرة، ففد توفي سنة 793هـ/ 1389)، وظل المنصب شاغرا لفترة قصيرة ثم تولاه إبراهيم بن علي بن فرحون سنة 793هـ/ 1390 - حتى وانه سنة 799هـ/ 1396 ". ومن فقهاء هذه الأسرة الذين تولوا قضاء المالكية في المدينة أبو اليمن محمد ابن ابراهيم بن علي بن فرحون"" وناصر الدين أبو البركات محمد بن محمد ابن عبد الله بن فرحون والبدر إبو محمد عد الله بن محمد بن فرحون.

-ابن يعقوب محمد بن عبد الوهاب المغربي المدني المكي المالكي (851- 918هـ)

هو محمد ين عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب بن يحي بن عبد الرحمن النجم أبو المعالي بن التاج أبي النصر ين الجمال بن الشرف المغربي الأصل المدني ثم المكي المالكي يعرف بابن يعقوب. وهو من العلماء المغاربة الذين اشتهروا في علم الفقه. ونظرا لاجتهاده تصدر مجالس العلم فأقرأ وأفتى ودرس في مختلف صنوف العلم وتولى قضاء المدينة المنورة، ثم قضاء مكة المكرمة[12]

ولد في ربيع الأول أو الآخر سنة 851هـ بالمدينة المنورة، وأمه سارة بنت غياث الخجندي ماتت قبل استكماله سنه فنشأ في كنف أبيه، وحفظ القرآن ومختصر ابن الحاجب وألفيتي الحديث

والنحو. ولازم المراغي في قراءة الحديث وقرأ الفقه على موس الحاجبي يحي العلمي وأبن يونس في القاهرة والسنهوري والأقصرائي في بعض العلوم وقرا على الديمي.

توفي بالقاهرة سنة 918هـ، وصل نعيه إلى مكة عن طريق ابه الصغير وصلوا عليه صلاة الغائب[13]

-القاضي أبو الحسن برهان الدين إبراهيم علي بن فرحون المدني: ت:799هـ/1396م

ذكره صاحب شجرة النور بالقاضي فقال: "قاضي المدينة المنورة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مما يدل على توليه منصب القضاء بالمدينة المنورة. وكان يتصف بالعدل وانتصار للمظلومين، وقد ساعده نفوذه في ذلك المركز أن يظهر المذهب المالكي بالمدينة بعد أن أصابه شيء من الخمول والضعف، وبفضله أصبح العامة من أهل المدينة يقدرون المذهب المالكي وهابت الرعية هذا[14].

5-2- القضاة المغاربة المالكية بمكة المكرمة:

-القاضي عبد المؤمن بن خليفة بن عبد الملك الدكالي ت 741هـ:

هو عبد المؤمن بن خليفة بن عبد الملك الدكالي المغربي المالكي. طلب العلم على علماء البلد الحرام. أخذ عن الشيخ عيس الحجي والزين الطبري ومحمد الصفي وبلال عتيق ابن العجمي والجمال المطري و كان رجلا صالحا ورعا ، عابدا فقيها.

ولي إمامة المقام المالكي نيابة عن الشيخ خليل المالكي، كما ناب في العقود عن القاضي شهاب الدين الطبري. كان عابدا فقيها. توفي سنة 741هـ[15].

-القاضي أحمد بن علي بن محمد الحسني الفاسي 754-819هـ

بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي، شهاب الدين، أبو العباس. والد التقي الفاسي قاضي مكة المكرمة نيابة.

ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعمائة بمكة، وسمع بها علئ قاضيها شهاب الدين الطبري: تساعيات جده الرضي الطبري، وتفرد بها عنه، وعلى الشيخ خليل المالكي: صحيح مسلم، خلا المجلد الرايع من تجزئة أربعة، وسمعه بكماله علئ الشيخ

عبد الله اليافعي، وعلئ القأضي عز الدين بن جماعة: التساعية له، ومنسكة الكبير وغير ذلك، وعليه وعلى القاضي موفق الدين الحنبلي: قاضي الحنابلة بمصر، جزء أبن نجيد، ثم على جماعة من شيوخ مكة بطلبه، وسمع بالقاهرة من قاضيها أبي البقاء السبكي: صحيح البخاري، ومن غيره، وسمع بحلب، وأجاز له جماعة.

واشتغل في الفقه والأصول والعربية، والمعاني والبيان، والأدب وغير ذلك، وكان ذا فضل ومعرفة تامة بالأحكام والوثائق، وله نظم كثير ونثر؛ أكثرها في مدح الرسول ﷺ ومدح أمراء مكة، ومن شيوخه في الفقه والنحو الشيخ أبو العباس بن عبد المعطي المكي النحوي، وأذن له في الإفتاء، والشيخ موسن المراكشي، وأخذ عن القاضي أبي الفضل النويري ومن غير واحد بمصر وغيرها، ودرس وأفتن كثرا، وحدث، وأخذ عنه ولده التفي الفاسي بمنئ ومكة، وناب عن القاضي محب الدين النويري، ووالده أبي الفضل في الحكم بآخرة وقيل: عن ابن اخته القاضي سرح الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الحنبلي، وعن القاضي جمال الدين بن ظهيرة في وقائع، وولي مباشرة الحرم بعد أبيه في سنة إحدى وستين وسبعمائة إلى حين وفاته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة 819هـ بمكة[16].

-القاضي التقي الفاسي 775-832هـ:

هو محمد بن أحمد بن علي ين محمد ين عبد الرحمن بن محمد تقي الدين الفاسي المكي وشيخ الحرم. ولد في ربيع الأول سنة 775هـ بمكة المكرمة ونشأ بها وبالمدينة المنورة، وفي سنة 789هـ صلى بالناس التراويح بمقام الحنابلة بالمسجد الحرام، وحفظ القرآن الكريم وحفظ مجموعة من المتون في الحديث والمصطلح والفقه وأصوله والنحو وغيرها وعرضها عل جماعة بالمدينة ومكة، وممن سمع عنهم من ابن صديق والقاضي نور الدين علي بن أحمد النويري وقرأ على البلقيني، وابن الملقن والهيثمي بالقاهرة وسافر إلى دمشق وغزة والرملة ونابلس والإسكندرية واليمن وقرأ على مشايخها

حتى بلغ شيوخه بالسماع والإجازة نحو خمسمائة شيخ كما قام بالتدريس والافتاء في هذه المدن، وكان واسع الحفظ في الحديث والتاريخ ، واعتنن بأخبار بلده مكة المكرمة فأحيا معالمها، وأوضح مجاهلها وحدد مآثرها وترجم أعيانها فكان إماما علامة فقيها، محدثا حافظا، وولي قضاء المالكية بها ولاه الناصر بن فرج على قضاء المالكية بمكة المكرمة سنة 807هـ توفي في شوال سنة 832هـ.[17].

-القاضي محمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي 781-852هـ

هو محمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن معمر بن سليمان قطب الدين أبو الخير بن الشيخ أبي محمد البجائي المغربي الأصل المكي المالكي أخو أحمد ويعرف بابن عبد القوي وهو بكنيته وبقطب الدين أشهر

ولد في مكة في ليلة الأحد 13شوال سنة 781هـ، ونشأ بها وحفظ القرآن والعمدة والرسالة وألفية ابن مالك، أخذ عن الجمال بن ظهير وعن أبيه والشريف عبد الرحمن أبي الخير الفاسي، والقاضي علي النويري ومن ابراهيم بن صديق وآخرين. أجاز له جماعة منهم الشهاب أحمد بن الناصح وأبي بكر بن حسين المراغي وغيرهم. وقد برع في فنون عديدة كالشعر والانساب والتاريخ وغيرها[18]

وقد عمل على نيابة العقود عن بعض قضاة مكة المكرمة منهم الكمال بن الزين وابي عبد الله النويري، ومات بعد أن كف سنين في ليلة الأحد منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة وصلي عليه بعد الصبح عند باب الكعبة ودفن عند أبيه في المعلاة[19].

-القاضي محمد بن ابي الخير الحسني الفاسي (791- 823هـ)

هو محمد بن ابي الخير بن محمد بن أبي الخير محمد بن أبي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي المالكي أبو البركات جمال الدين قاضي مكة المكرمة نيابة.

ولد في ليلة محرم سنة 791هـ بمكة وبها نشأ وحفظ كثير من متون العلم واشتغل بالعلم وناب عن التقي الفاسي في الحكم مرتين، وولي إمامة المالكية بالمسجد الحرام، بتفويضى من السلطان

بمصر سنة 819هـ، وأول صلاته باشرها صلاة الظهر، وعزل عن الإمامة والقضاء بالقاضيين شهاب الدين أحمد النويري وأخوه ولي الدين ابو عبد الله).

توفي رحمه الله في ليلة الإثنين سادس محرم سنة 823هـ بمكة المكرمة، معزولا، ودفن بالمعلاة عقب الصلاة عيه بقرب سقاية العباس[20]

-القاضي أحمد بن محمد بن الزين القسطلاني 796-قبل 820هـ:

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن حن بن الزين بن محمد بن الأمين محمد بن القطب، شطب الدين، أنو العباس القسطلاني المكي المالكي. أخو الكمال محمد .

ولد في صفر سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسمع من محمد بن معالي وعلي ب مسعود بن عبد المعطى وأبي حامد الطبري وسلامه أجازه له سنة مولده فما بعدها جماعة.

دخل بلاد كنباية سنة ست عشرة وثمانمائة فمات هناك قبل العشرين، وذكر السخاوي في ضوئه إنه قاضي مكة سمع على ابن الكويك والجمال الحنبلي رفيقا لأبي البقاء بن الضياء والظاهر أنه هذا ليس بقاضي مكة وإنما هو أخو قاضيها[21].

-محمد بن سليمان بن داود أبو عبد الله الجزولي 806-863هـ/ 1403-1458م

وهو من المغاربة الذين اشتهروا في علم الفقه توجه الى مكة لأداء فريضة الحج فدخلها

في موسم الحج سنة 841هـ 1437م وبعد انتهاء اعمال الحج توجه لزيارة المدينة المنورة وجاور فيها سنة واحدة عام 842هـ/1438م، ثم عاد لمكة وجاور فيها وكان فقيها قاضيا واشتغل بالتدريس الفقه والافتاء في مكة كما تميز ايضا في اللغة العربية[22]

-القاضي محمد بن عبد اللطيف الحسني الفاسي (843-917هـ)

هو محمد بن عبد اللطيف بن أبي السرور محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي، المالكي ناب قضاء المالكية بمكة المكرمة.

ولد في ليلة من ليالي العشر الأخيرة من ذي الحجة بمكة سنة 843هـ وسمع بها، ودخل القاهرة مع أبيه في أول سنة 856هـ وتوجها منها إلى بيت المقدس، ثم لدمشق ثم رجعا إلى القاهرة، وسافرا منها إلى بلاد المغرب الاسلامي، ثم عاد إلى مكة في موسم سنة 858هـ ثم سافر وحده إلى بلاد المغرب في موسم سنة 863 هـ فدخل تونس وعاد إلى مكة سنة 899هـ وتكرر دخوله للقاهرة، ثم دخل المغرب أيضا وزادت إقامته علن سنتين، ولازم بالقاهرة السنهوري في الفقه وغيره، ولازم السخاوي، وقرأ عليه ألفية العراقي وشرحها، وقرأ على الشاوي والزكي المناوي وعبد الصمد الهمداني وآخرين. ناب في القضاء المالكي بمكة بمرسوم من السلطان، وكان إماما بمسجد الخيف في منى وغير ذلك، ورحل إلى الهند وتوفي بها سنة 909هـ[23].

-القاضي محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير الحسني الفاسي(785- 825هـ)

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير بن أبي عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الفاسي المكي المالكي، رضي الدين، أبو حامد تولى القضاء المالكي استقلالا ونيابة.

ولد بمكة في رجب سنة 785هـ، وقيل في سادس رجب سنة أربع وثمانين، وسمع بها ظنا علن العفيف النشاوري، والجمال الأميوطي ويقينا علن ابن صديق، والشيخ زين الدين المراغي أشياء كثيرة من مروياته، وأجاز له جماعة، وحفظ عدة من مختصرات الفنون، وتفقه بأبيه، وبالزين خلف النحريري المالكي، وأبي عبد الله الوانوغي، وحضر عليه دروسه في فنون من العلم بمكة، وغيرها، وأخذ العربية عن إمام الحنفية بمكة الشيخ شمس الدين الخوارزمي المعيد، والشيخ شمس الدين البوصيري لما جاور بمكة، وأصبح فقيها وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي القضاء في رابع عشر في شوال سنة 817هـ عوضا عن ابن عمه القاضي التقي الفاسي، ووصل التوقيع بمكة في أوائل ذي الحجة منها فلبس خلعة الولاية وباشر، فلما رحل المصريون جيء بتوقيع التقي الفاسي مؤرخ بسابع ذي القعدة منها فترك المباشرة، واستمر حريصا عل العود فما تيسر له، وقد ناب عن الجمال بن ظهيرة، وحكم في عدة قضايا هامة. توفي في وقت عصر يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة 824هـ بمكة المكرمة[24].

الخاتمة:

– بعد أن استعرضنا أبرز العلماء المغاربة المالكية الذين تقلّدوا منصب القضاء في الحرمين الشريفين ، توصلنا الى النتائج التالية بعض :

– شغل المغاربة المالكية العديد من الوظائف الإدارية الدينية في الحرمين الشريفين لاسيما الوظائف العليا في الدولة كالقضاء، والإفتاء، والخطابة، مما جعلهم يقدمون مساهم فعالة في الحياة العلمية في بلاد الحجاز.

– يعد المذهب المالكي المذهب من المذاهب الهامة في بلاد الحجاز وعلى هذا الأساس تميز أولئك المغاربة بأحوال مذهبهم وأبدعوا فيه، الأمر الذي ساعدهم على إحياءه ونشره في بلاد الحجاز من خلال منصب القضاء مثل أسرة ابن فرحون.

– أن القضاة المغاربة المالكية كانوا على قدر المسؤولية وحكموا بمذهبهم على كثير من القضايا المهمة ولم يداهنوا الحكام وكانت سيرتهم طيبة لدى الناس.

– إندماج العلماء المغاربة المالكية في المجتمع الحجازي، وبذلك شكلوا على مر السنين أسر علمية على غرار أسرة بن فرحون والفاسي وبن عبد القوي وغيرهم، وأصبحوا جزء لا يتجزأ من المجتمعين المكي والمدني.

–التوصيات:

– عقد ملتقيات تهتم بالعلماء المغاربة وحضورهم العلمي المالكي في مختلف البلاد الاسلامية.

– دعوة إلى الاهتمام بمؤلفات ومخطوطات العلماء المغاربة المالكية تعريفا وتحقيقا ونشرا وحماية من اندثارها.

– يوجد كثير من الأعلام المغمورين الذين جاوروا الحرمين الشريفين يحتاجون إلى التفافة الباحثين والمؤرخين للبحث عنهم في بطون الكتب خاصة علماء مالكية المغرب الأوسط.

– الاهتمام بإفراد دراسات أكاديمية حول الأسر العلمية المغاربية ودورها العلمي في بلاد الحرمين الشريفين.

قائمة المصادر والمراجع:

– ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط01، دار يعرب، دمشق، 2004 .ص 196.

– التنبكتى أبو العباس أحمد بابا بن أحمد نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.

– التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط: 1421هـ/2000م، ج1.

– الفاسي التقي محمد بن أحمد بن علي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، 1986، ج1.

– المقريزي تقي الدين بن أحمد ، درر العقود المفيدة في تراجم العيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

– بن فهد عمر ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: فهيم محمد شلتوت، ج3 ،ط1 ،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1984م.

– عاشور سعيد عبد الفتاح وآخرون : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية. دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.

– الطاسان محمد صالح ، القضاء في مكة في العهد المملوكي، مجلة العصور،ج6، 2 يوليو 1991م.

– عبد الرحيم عبد الله بن عبد الرحمن بن ، المعلمين قضاة مكة المكرمة من القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحاضر، ج2، جدة، 1431هـ.

الهوامش:

1- التقي الفاسي محمد بن أحمد بن علي ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة، 1986، ج1/ص459.

2- التقي الفاسي: المصدر السابق، 456 -461.

3- محمد صالح الطاسان، القضاء في مكة في العهد المملوكي، مجلة العصور،ج6، 2 يوليو 1991م، ص301.

4- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط01، دار يعرب، دمشق، 2004 .ص 196.

5- محمد صالح الطاسان، المرجع السابق، ص301.

6- عمر بن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: فهيم محمد شلتوت، ج3 ،ط1 ،مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1984م، ص442.

7- محمد صالح الطاسان، المرجع السابق، ص301.

8- سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996.ص157.

9- عمر بن فهد ، المصدر السابق، ص451.

10- محمد صالح الطاسان، المرجع السابق، ص309.

11- تنحدر أسرة بن فرحون من قرية أيان وهى بالقرب من بلدة جيان بالأندلس من أصل تونسي استقروا بالمدينة المنورة وقدموا خدمات علمية جليلة، و تولوا القضاء خلال القرنين الثامن و التاسع الهجري فبنوا مجد هذه الأسرة، وهذا ما جاء في وصف السخاوي:" بيت رياسة وقضاء وعلم" السخاوي محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن السابع، ج5، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 55.

12- السخاوي، المصد السابق، ج8، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 137.

13- عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمين قضاة مكة المكرمة من القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحاضر، ج2، جدة، 1431هـ، ص 89.

14- التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط: 1421هـ/2000م، ج1، ص 160.

15- التقي الفاسي ، المصدر السابق، ج5، ص 519.

16- التقي الفاسي ، المصدر السابق، ج3، ص ص 109-111.

17- السخاوي المصدر السابق، ج7، ص 18.

18- المقريزي تقي الدين بن أحمد ، درر العقود المفيدة في تراجم العيان المفيدة، تحقيق محمد الجليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص392- 393.

19- السخاوي، المصدر السابق ، ج8، ، ص 71.

20- السخاوي، المصدر السابق، ج9، ص 104. التقي الفاسي سيد، ط2، المصدر السابق، ج2، ص ص 312-313.

21- السخاوي، المصدر السابق ، ج2، ص 73.

22التنبكتي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، الطبعة الثانية،٢٠٠٠م، ص 538.

23- السخاوي، المصدر السابق، ج8، ص ص 76-77.

24- التقي الفاسي، المصدر السابق ، ج2، ص ص 115-118. السخاوين المصدر السابق ، ج8، ص 46.